وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ
تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين
من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون إليهم
ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولأنهم أشد الخلق بأسا
وأقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من
ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون
أشعارهم لهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار
ويرمي بالجبل عليهم وروي أنها لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم
أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة
منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش
أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله وما جعلنا أصحاب النار إلا
ملائكة أي ما جعلناهم من جنسكم يطاقون فإن قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية
سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه
صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت
سببا وذلك أن المراد بقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم إلا
تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من
عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان
المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن
بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر
في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين إيمانا لتصديقهم
بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك فإن
قلت لم قال ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الإيمان دالا
على انتفاء الارتياب قلت لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان أبلغ وآكد

وآكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف
حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر فإن قلت كيف ذكر الذين في قلوبهم
مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة قلت
معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون
بمكة ماذا أراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات
بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب
لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب فإن قلت قد علل جعلهم
تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب أن
الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين
والكافرين غرضا قلت أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة أن تكون غرضا
ألا ترى إلى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما
هي بغرضك مثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية فإن قلت لم سموه مثلا
قلت هو استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا
العدد واستبداعا له والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي غرض قصد في أن جعل
الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم إنكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو
كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص الكاف في كذلك نصب وذلك إشارة إلى ما قبله من
معنى الإضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين
يعني يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له
لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانا وينكره الكافرون ويشكون
فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص
من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده
من الحكمة إلا هو ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات
والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفا

Copyright © King Saud University